الفصل السادس

من صموئيل إلى داود وسليمان
داود، حقيقته. عقيدته. ملكه

obeikandl.com

obeikandl.com

من صموئيل إلى داود وسليمان، داود حقيقته.عقيدته.ملكه

شأن شخصية داود لا يقل عن شأن موسى إن كان ذلك في القرآن الكريم أو كتاب التوراة وهذا الشأن يبرز من خلال التركيز على شخصيته من جانب ومدى التناقض بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في التوراة من جانب آخر ومن جانب ثالث رأي الباحثين وتناقضات تصوراتهم حول شخصيته وعقيدته وملكه.

ولا شك أن القرآن الكريم والتوراة يتفقان على أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل سبق بقليل ظهور داود على مسرح الأحداث وارتبط به حيث اعتبر هذا النبي ممهداً لبروز النبي داود.

تقول التوراة في سفر صموئيل الأول وتحديداً في آخر الإصحاح الثالث:

وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض، وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب.

وجاء في السفر نفسه الإصحاح الرابع: (فأجاب المخبر وقال هرب إسرائيل أمام الفلسطينيين وكانت أيضاً كسرة عظيمة في الشعب ومات أيضاً إبناك حفني وفيخاس وأخذ تابوت الله).

وجاء في الإصحاح الخامس: (فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود. وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقرب داجون)، وجاء في الإصحاح الثامن: (فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب).

أما في الإصحاح الحادي عشر فتقول التوراة: (وقال صموئيل للشعب هلموا نذهب إلى الجلجال ونجدد هناك المملكة فذهب كل الشعب إلى الجلجال وملكوا هناك شاؤل أمام الرب).

هذا ما جاء في سفر صموئيل عن قصة بروز شاؤل وصموئيل وللقصة بقية طويلة سنعود إليها.

أما في القرآن الكريم فيقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 246 ـ 250].

بداية الأمر نرى أن القرآن الكريم والتوراة يتفقان على أن هذا الحدث وقع بعد موسى عليه السلام ولم يحدد القرآن الكريم الفترة الزمنية التي وقعت فيها الحادثة إنما أشار إلى أنها بعد موسى عليه السلام.

وأشار القرآن الكريم إلى نبي من أنبياء إسرائيل دون أن يشير ما هو اسمه وقد ذكرت التوراة أيضاً أن صموئيل اؤتمن نبياً للرب.

وأشار القرآن الكريم إلى التابوت كما أشارت له التوراة.

ويتفق القرآن الكريم والتوراة على أن النبي رشح لهم ملكاً لكنهم رفضوه

مبدئياً لأنه لم يكن لا من بيت مال ولا من بيت النبوة لكن النبي صرح لهم أن الله اختار هذا الملك ليقودهم ضد أعدائهم ودليل ذلك أنه يأتي بتابوت الرب.

ثم يتفق القرآن الكريم والتوراة بالحديث عن الصراع الذي دار بين طالوت وجنوده من جهة وبين جالوت وجنوده من جهة أخرى.

يرد اسم النبي في التوراة صموئيل واسم الملك شاؤل بينما يرد اسم الملك طالوت. ويرد اسم جالوت في القرآن بينما يرد جوليات في التوراة.

ركز القرآن الكريم في قوله إذ قالوا لنبي لهم. فهذا التعبير لم يأت عبثاً. فالنبي هناك نكرة لم يعرف من هو. ولو كان نبياً مرسلاً لذكر القرآن اسمه وقد قال تعالى نبي لهم بمعنى أن النبي خاص بهم وليس هو مكلف برسالة محددة. وهذا يعني أيضاً أن لهم أنبياء كثيرين ومرتبتهم لا تتعدى كونهم رجالاً مصلحين مستقيمين لكنهم خاصون لبني إسرائيل.

على أية حال فإن القرآن الكريم يبين دور هذا النبي في حياتهم بعد أن ووجهوا بقوى كثيرة وأخرجوا عن المناطق التي استقروا فيها بعد طرد أهلها منها.

ولعل الآية القرآنية توضح في هذا الظرف المرتبط ببني إسرائيل أن بعضاً منهم كانوا يدركون الإيمان الحقيقي بينما الأكثرية منهم نقضوا عهود الله وعبدوا الأوثان وقتلوا الأبرياء من الناس ـ تقول الآية ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ويظهر من خلال أقوالهم أنهم أخرجوا من المناطق التي استقروا فيها وأخذت الأقوام المجاورة تأسر أولادهم وتستعبدهم.

وعندما أصبح طالوت ملكاً عليهم جمعهم للقتال وكان أول امتحان لهم طلبه منهم ألا يشربوا من ماء النهر حتى يرتووا. لكنهم شربوا وارتووا فارتد معظمهم عن القتال. ولما اخترق طالوت النهر وواجه جالوت وقومه خاف البقية الذين معه وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت. فبقي القليل القليل وهم فئة قليلة ممن آمنوا.

وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ندرك أن الذين ظلوا مع طالوت

هم القلة القليلة من بني إسرائيل وهـذه القلـة كـانت مؤمنـة بخـلاف الأكثريـة التـي تراجعت ووصفها الله بالظالمين.

هنا لا بد من التوقف طويلاً عند عدة قضايا:

1 ـ ما اسم النهر الذي ذكرته الآية الكريمة؟

2 ـ من هو جالوت ومن هم جنوده وأين وقعت المعارك بينه وبين بني إسرائيل؟

إذا قارنا بين ما جاء في التوراة وبين ما جاء في القرآن نـرى أن التـوراة لا تـأتي على ذكر النهر وتستبدله بأسطورة أو بحكاية غريبة عن المنطق. وهي قـول التـوراة إن الله غطّى الزرع في الحقول بعسل وطلب شاؤل أن لا أحـد يذوقـه. وتستطرد في القول فنرى أن ابن شاؤل نفسه أكل من ذلك العسـل وهـدده أبـوه بـالموت مـن قبـل ربه لأنه خالف أمـره لكـن الشـعب يرفـض مـوت الابـن فيقبـل الـرب هـذا الرفـض فيعفيه من الموت.

جاء في صموئيل الأول الإصحاح الرابع عشر: (لأن شـاؤل حلّـف الشـعب قائلاً ملعون الرجل الذي يأكل خبزاً إلى المساء حتى أنتقم من أعدائي.. وجاء كل الشعب إلى الوعر وكان عسل على وجه الحقـل. أمـا يوناثـان ـ ابـن شـاؤل ـ فمـد طرف النشابة التي بيده وغمد في قطر العسـل وردّ يـده إلـى فيـه فاسـتنارت عينـاه... فافتدى الشعب يوناثان فلم يمت).

أما النهر الذي لم تتحدث عنه التوراة فإنه يشكل مفصـلاً مهمـاً في الجغرافيـا البشـرية في ذلـك الوقـت والواقـع أن النهـر هـو نهـر الأردن وقـد أكـد ذلـك الـرواة الإسلاميون والمفسرون. وهذا يعني أن بني إسـرائيل كـانوا متواجديـن شـرق النهـر أي خـارج حـدود فلسـطين وأن جـالوت وجنـوده كـانوا داخـل فلسـطين ويبـدو أن الأقوام التي وجدت آنذاك داخل فلسطين طردت بني إسـرائيل مـن الأراضـي التـي كانوا قد مكثوا فيها وتشير التوراة في سفر القضاة وسفر صموئيل مراراً وتكراراً إلى معارك حدثت وكان بنو إسرائيل خاسرين فيها. ولكن التوراة لا تشير إلـى إخـراج بني إسرائيل إلى خارج حدود فلسطين وتحديداً شرق النهر.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس: (فلما فصل طالوت بالجنود غازياً إلى جالوت قال طالوت لبني إسرائيل إن الله مبتليكم بنهر) بين فلسطين والأردن[1].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: (فلما انتهوا إلى النهر ـ وهو نهر الأردن...)[2].

إن هذا يؤكد عدم مكوث بني إسرائيل بشكل حضاري مستقر في أرض فلسطين وإذا تتبعنا حديث التوراة عن الأماكن التي تواجد فيها جالوت وجنوده وجدنا أن مدينة أسدود ومدينة جت وما حولها كانت الأرض التي تواجدوا فيها.

ومنطقة أسدود تقع على الساحل الفلسطيني في الجنوب وإلى الشرق منها توجد مدينة جت. وبين هاتين المنطقتين ونهر الأردن توجد مسافة تقدر بحوالي ستين كلم وهذا يعني أن الاشدوديين ظلوا يلاحقون بني إسرائيل حتى أخرجوهم إلى شرق الأردن أما المناطق التي ذكرتها التوراة في هذا السفر فتقع جميعها بالقرب من أسدود كمنطقة الجلجال. والمصفاة والرامة. وجبع وعزيقة وبيت لحم وجبعة وهي غير جبع.

وعندما تذكر التوراة أن بني عمّون نسبة إلى عمان في الأردن ـ قد هاجموا بني إسرائيل واستعبدوهم عدداً من السنوات فإنما يدل على أن بني إسرائيل عندما دخلوا أرض شرق النهر رفضهم العمونيون وهاجموهم لطردهم من أراضيهم أيضاً.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنهم كانوا مرفوضين من قبل شعوب المنطقة كلها.

نعود إلى السؤال الثاني من هو جالوت ومن هم جنوده؟

تركز التوراة على قولها إن جالوت أحد ملوك الفلسطينيين الذين كانوا مستقرين في أسدود وغزة وعقرون وجت.

والقرآن الكريم لم يشر إلى نسبة جالوت ولم تضخم شخصيته كما فعلت التوراة إنما هو رجل عادي كان يقود جيشاً وحسب قول بني إسرائيل انصرنا على

---

(1)(2) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور ص 564 المجلد الأول. تفسير سورة البقرة.

القوم الكافرين فهذا يعني أن جالوت كان وثنياً وأن البقية المتبقية التي حاربت مع طالوت كانوا موحّدين مؤمنين. وتؤكد التوراة أن الصراع بين بني إسرائيل وبين الفلسطينيين دام سنوات طوالاً.

وقد رأى بعض الباحثين أن التشابه بين اسمي طالوت وجالوت يجب أن يلفت انتباهنا إذ قد يشكل دلالة على أن الحرب لا تقع بين قومين مختلفين من الناحية الاثنية إن جالوت ليس اسماً فلسطينياً ولا لقباً فلسطينياً ولذلك قلبه كتبة التوراة إلى جليات التي تعني في اللغات الهندو أوروبية العملاق. لكن جوليات لا تحمل هذه الدلالة أو ظلها في فلسطين ذلك أن الكلمة الشبيهة (جلياط تعني الكذاب المغرور مدعي البطولة وهو جبان فكيف جاء هذا المفهوم للفلسطينيين ولأهل بلاد الشام بشكل عام. لنلاحظ هنا لقد نسبوا لجالوت أنه ملك جت وزعموا أن جت مدينة فلسطينية ومع ذلك أعطوا الأحياء الخاصة التي يسكنونها اسم (جت) فهل يستعير أحد اسم مدينة عدوّه ليعمّمها على كل مواقع تواجده وكأنها كلمة السر في تعرف اليهودي على اليهودي حيثما اتجه لم تكن جت عزيزة عليه. وهل يختار أحد اسم ملك عدوه جالوت فيجعله الاسم الذي ينزل في ضيافته وحماه حيثما اتجه في العالم باعتبار رئيس الجالية في الجت (الجيتو) لو لم يكن جالوت هذا عزيزاً على قلب كل يهودي وجزءاً من كيانه الديني والسياسي)[1].

لقد أشار المفسرون المسلمون إلى أن جالوت ينتمي إلى العمالقة أي إلى بطن من بطون الكنعانيين باعتبار أن المنطقة كانت مسكونة من قبل عدة بطون كنعانية كاليبوسيين والفلسطينيين والحثيين والعمالقة والأموريين أو العموريين.

وترى بعض الدراسات التاريخية أن آخر من هاجر إلى أرض فلسطين هم الفلسطينيون وهم من الأقوام الإيجية (أهل السواحل. وكانوا قد احتلوا بعض السواحل السورية العليا في أوائل القرن الثاني عشر ق. م ومنها هاجموا مصر في عهد رعمسيس الثالث 1198 ـ 1166ق. م وقد صدهم هذا الفرعون في معركة حربية بحرية نشبت بينهم حوالي 1191ق. م فاتجهوا بعد إخفاقهم إلى الساحل الفلسطيني الجنوبي

(1) عبد الرحمن غنيم. روان سر الأسرار ص 170.

في القسم الذي يمتد من غزة جنوباً إلى أسفل يافا شمالاً ويذكر أن هؤلاء الفلسطينيين قد اندمجوا بالكنعانيين والعموريين كلياً بحيث لم يعد بالإمكان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية. فيقول لودس في كتابه (إسرائيل) إن الفلسطينيين قد تكنعنوا على حد قوله بسرعة في حوالي القرن الحادي عشر ق.م في خلال فترة تقل عن 150 عاماً بعد استقرارهم على أرض فلسطين وكان بنو إسرائيل قد دخلوا أو تسللوا إلى بعض مناطق جنوب شرق فلسطين قادمين من الأردن. ولم يستطع يشوع أن يتحرش بهم لأنهم كانوا متفوقين بالأسلحة عليهم).

ولو أخذنا بعين الاعتبار أن الفلسطينيين قدموا إلى ساحل فلسطين الجنوبي عام 1198 فإن ذلك يعني أن هذا الزمن هو زمن التسلل الإسرائيلي الأول إلى أرض الأردن وبعض أطراف فلسطين. ولو افترضنا أن الفلسطينيين مكثوا حوالي 150 عاماً وهم يندمجون شيئاً فشيئاً بأهل البلاد الأصليين فإننا ندرك أيضاً أن الصراع بين قبائل بني إسرائيل وبين الفلسطينيين قد امتد حوالي مئة سنة على الأقل. والطبيعي أن يحدث هذا الصدام ويستمر بين طرفين يريد كل طرف السيطرة على الأرض والتوسع فيها ولما لم يكن بنو إسرائيل من القوة ليصمدوا أمام الفلسطينيين تراجعوا جغرافياً حتى أصبحوا في شرق النهر حين كان العمونيون الذين رفضوا بدورهم بقاء عنصر غريب في أرضهم فهاجموا بني إسرائيل واستعبدوهم فترة من الزمن كما أشرنا سابقاً.

أما أهل البلاد الأصليون من كنعانيين ويبوسيين وعموريين فقد أشارت الدراسات أنهم كانوا منقسمين انقسامات حادة. وكل طرف منهم يعيش منغلقاً في مناطق محصنة كالقدس وبعض المدن في شمال فلسطين.

فالصراع الأولي الذي احتدم كان بين طرف فلسطيني خارجي وبين طرف إسرائيلي خارجي أيضاً. والصراع مع الكنعانيين كان صراعاً ذا شقين. الأول مع شعوب البحر والثاني مع بني إسرائيل. وقد استوعب أهل البلاد الأصليون الشعب الفلستي حتى دمجوهم في حياتهم. وهذا هو منطق الحضارة. فالأقوى حضارياً والمستقر جغرافياً يستوعب الوافد والطارئ مهما كان جنسه أو عقائده أو

تراثه، فطبيعة الأرض الكنعانية وكذلك طبيعة الحياة البشرية استطاعا استيعاب هؤلاء الفلسطينيين نهائياً. وأعتقد أنه من الطبيعي أن يستوعب الكنعانيون شعوب البحر بسرعة لتقارب ما في النمط الحضاري والأسطوري والعقيدي. بينما نرى عدم استيعاب لبني إسرائيل لأسباب كثيرة أهمها. المستوى الفكري والثقافي المتخلف جداً، والتقلب العقيدي المستمر، والطبيعة الشخصية العدوانية وهذا الأخير أكدته التوراة كما أكده القرآن الكريم وكذلك تؤكده الدراسات الاجتماعية والتاريخية كما تؤكده الوقائع اليومية التي نراها ونلمسها في عصرنا الحاضر، على أية حال فإننا نرى أن شخصية جوليات أو جالوت شخصية ليس لها خصائص مميزة سوى أنها شخصية رجل قاد جيشاً وسقط صريعاً في إحدى المعارك. وما تقوله التوراة في وصفها له ليس إلا من باب التأكيد على إدامة الصراع مع الفلسطينيين بعد أن أصبح اسم فلسطين تسمية لأرض كنعان وشعبها الكنعاني.

المهم في الأمر أن بني إسرائيل لم يستطيعوا مقاتلة جوليات والفلسطينيين والذي حاربه هم فئة قليلة تميزت بأنها موحدة مؤمنة بالله الواحد وبتعاليم الوحدانية الصحيحة كما جاءت في توراة موسى. ولو دققنا النظر في النصوص التوراتية لوجدنا أن بني إسرائيل أو غالبيتهم كانوا وثنيين حتى في أوج أزمتهم زمن صموئيل وشاؤل وهذا سفر صموئيل الأول والثاني والملوك يمتلئ بالحديث عن وثنيتهم المستمرة. قد يقول قائل إن هذا لا ينفي أن بني إسرائيل جميعهم قد انتصروا على الفلسطينيين وأعادوا احتلال جزء من البلاد وذلك بأمر من الرب الذي ساهم حسب نص القرآن في انتصار داود على جالوت وإقامة مُلك بني إسرائيل.

وحقيقة الأمر أن المسألة ليست كذلك ولو دققنا في آيات القرآن الكريم لأدركنا أن نصرة الله لداود ولمن كان معه ليست نصرةً لبني إسرائيل. لقد نصر الله داود ليس لأنه من أكثرية بني إسرائيل وليس لأنه كما تقول التوراة ينتمي إلى أحد الأسباط وليس لأنه كان يهودياً كما يزعم بعضهم. إن نصرة داود الإلهية هي نصرة للدين الموحّد ضد التعددية والوثنية وضد بني إسرائيل أنفسهم وسنرى كيف أن الأحداث تؤكد ذلك وخاصة إذا دققنا النظر جيداً فيما قالته التوراة عن داود

وفيما قاله القرآن الكريم.

لقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن وقائع وأحداث وقضايا سبقت الحديث عن داود عليه السلام باعتبارها التمهيد الضروري لمعرفة الظروف التي جعلت داود عليه السلام يبرز إلى ساحة الأحداث.

ونعود في هذا البحث إلى شخصية داود وكيف تحدثت عنه التوراة وكيف تحدث عنه القرآن الكريم. ثم نستعرض أقوال بعض الباحثين الغربيين والعرب وبعض ما قاله المفسرون وهم يتناولون تفسير الآيات القرآنية الخاصة بالحديث عن داود عليه السلام.

يبدأ ظهور داود عليه السلام في النص التوراتي في الإصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الأول وتنقطع أخباره إلى أن تحدث معركة بين شاؤل وبني إسرائيل من جهة وبين الفلسطينيين من جهة أخرى فيكثر الحديث عن داود إلى أن يقتل شاؤل مع أولاده الثلاثة في معركة جبل جلبوع وهذا السياق يأتي مع نهاية سفر صموئيل الأول في الإصحاح الحادي والثلاثين.

وتبدأ حياة داود كزعيم منذ الإصحاح الأول في سفر صموئيل الثاني، ومع بداية سفر الملوك الأول يظهر داود وقد شاخ وكبر وبرز ابنه سليمان وفي الإصحاح الثاني من هذا السفر يموت داود ويخلفه في الحكم سليمان، وتتحدث التوراة عن داود في أخبار الأيام الأول، ثم تخصص لداود مزامير وتشير بقولها، لإمام المغنين على ذوات الأوتار مزمور داود وتنسب إلى داود سبعين مزموراً.

جاء في الإصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الأول: (فأجاب واحد من الغلمان وقال هو ذا قد رأيت ابناً ليسَّى البيتلحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه) (فجاء داود إلى شاؤل ووقف أمامه فأحبه جداً وكان له حامل سلاح).

(فقال داود لشاؤل لا يسقط قلب أحد بسببه عبدك يذهب ويحارب هذا الفلسطيني فقال شاؤل لداود لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطيني لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه) الإصحاح السابع عشر.

وفي نهاية الإصحاح السابع عشر: ولما رأى شاؤل داود خارجاً للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس الجيش ابن من هذا الغلام يا أبنير فقال أبنير وحياتك أيها الملك لست أعلم... ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير وأحضره أمام شاؤل ورأس الفلسطيني بيده فقال له ابن من أنت يا غلام فقال داود عبدك ابن عبدك يسّى البيتلحمي.

وجاء في الإصحاح الثامن عشر: (هوذا قد سُرّ بك الملك وجميع عبيده قد أحبوك فالآن صاهر الملك. فتكلم عبيد شاؤل في أذني داود بهذا الكلام فقال داود هل هو مستخفّ في أعينكم مصاهرة الملك وأنا رجل مسكين وحقير).

وتقول: (ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك فأعطاه شاؤل ميكال ابنته امرأة فرأى شاؤل وعلم أن الرب مع داود، وميكال ابنة شاؤل كانت تحبه، وعاد شاؤل يخاف داود بعد ذلك وصار شاؤل عدواً لداود كل الأيام).

ويأتي في الإصحاح الحادي والعشرين: (وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاؤل وجاء إلى أخيش ملك جت فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض. فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت. فغيّر عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته).

وفي الإصحاح الثاني والعشرين: (فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عدلام فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك. واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل من كان عليه دين وكل رجل مرّ النفس فكان عليهم رئيساً وكان معه نحو أربعمائة رجل.

وذهب داود من هناك إلى مصفاة موآب وقال لملك موآب ليخرج أبي وأمي إليكم حتى أعلم ماذا يصنع الله، فودعهما عند ملك موآب فأقاما عنده كل أيام إقامة داود في الحصن).

وفي الإصحاح 24: (ولما رجع شاؤل من وراء الفلسطينيين أخذ ثلاثة آلاف

رجل منتخبين من جميع إسرائيل وذهب يطلب داود ورجاله على صخور الوعول).

وجاء في الإصحاح السابع والعشرين: (فقام داود وعبر هو والست مائة الرجل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك جت. وأقام داود عند أخيش في جت هو ورجاله).

وفي الإصحاح 29: (فدعا أخيش داود وقال له حي هو الرب إنك أنت مستقيم، فأجاب أخيش وقال لداود علمت أنك صالح في عيني كملاك الرب).

وجاء في الإصحاح الحادي والثلاثين: (ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شاؤل وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها).

وجاء في الإصحاح الثاني في صموئيل الثاني: (فقال داود إلى أين أصعد فقال إلى حبرون، وأصعد داود رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا في مدن حبرون وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا).

وكانت المدة التي ملك فيها داود في حبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وجاء في الإصحاح الخامس: (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك في حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل).

وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك. وملك أربعين سنة، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض. فكلموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج. وأخذ داود حصن صهيون وهي مدينة داود.

وفي الإصحاح السادس: (وبقي تابوت الرب في بيت عوبيد أدوم الجتي ثلاثة أشهر وبارك الرب عوبيد أدوم وكل بيته).

وفي الإصحاح السابع: (قال الرب أأنت تبني لي بيتاً لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن).

وجاء في الإصحاح الحادي عشر: (وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها. ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى.

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. ومات أوريا الحثي فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب).

وجاء في الإصحاح الثاني عشر: (فأرسل الرب ناثان إلى داود فجاء إليه وقال له كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً فأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه، فحمي غضب داود على الرجل جداً فقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف فقال ناثان لداود أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل.. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة. والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد... فقال داود لناثان قد أخطأت إلى الرب فقال ناثان لداود الرب أيضاً قد نقل عنك خطيّتك. لا تموت غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشتمون فالابن المولود لك يموت وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فقتل).

وعزى داود بتشبع امرأته ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان والرب أحبه. فجمع داود كل الشعب وذهب إلى رَبَّةَ وحاربها وأخذها.

وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد فأمرهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون.

إلى هنا يتوقف فصل آخر من حياة داود، حيث يبدأ فصل جديد يرتبط بصراع أبنائه وبعض ما فعلوه من هتك للأعراض والثورة على داود وقتل عدد منهم.

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر داود عليه السلام ست عشر مرة في آيات متفرقات ونستطيع أن نحدد من خلالها مسار حياته وفكره وحتى زمنه.

يقول تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 163-164].

ويقول تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: 78].

ويقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: 83 - 84].

ويقول تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ

دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 78 ـ 80].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: 11].

ويقول تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 17 ـ 26].

من خلال المقارنة بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن نرى أن خطوطاً كثيرة مشتركة نجملها فيما يلي:

1 ـ بروز داود خلال حرب شاؤل مع أعدائه (شاؤل ـ طالوت).

2 ـ وصوله للملك وتعزيزه وتقويته.

3 ـ القضاء عند داود خاصة في قصة الخصمين اللذين تقاضيا عنده بشأن النعاج.

4 ـ الاتفاق على أن داود والد سليمان.

5 ـ الاتفاق على أن داود جمع إلى الملك النبوّة والحكمة.

6 ـ الاتفاق على طول مدة الملك .

وهناك اختلافات كثيرة أيضاً :

1 ـ تشير التوراة إلى داود على أنه ابن يسّى البيتلحمي وتشير له بأنه من أحد أسباط إسرائيل بينما القرآن لا يشير إلى ذلك .

2 ـ يفترق القرآن عن التوراة بأنه لا يشير إلى أي صراع بين داود وشاؤل .

3 ـ ترى التوراة أن هناك نبياً أو أنبياء وجدوا في عصر داود وكانوا قريبين منه .

4 ـ تزعم التوراة أن داود خطف امرأة أوريا الحثي وزنا فيها وأنجبت ولداً حراماً ثم تزوجها بعد قتله لزوجها وأنجبت سليمان النبي .

5 ـ التناقض في كلام التوراة لا سيما في وصف داود وشخصيته .

6 ـ ترى التوراة أن داود تصنع الجنون عند الملك أخيش وهذا ما لم يرد في القرآن الكريم .

7 ـ تشير التوراة إلى مزامير تنسب بعضها لداود بينما يورد القرآن بقول الله تعالى وآتينا داود زبوراً .

8 ـ تدعي التوراة أن الله طلب من داود بناء بيت ليسكن فيه بدل أن يظل في السحاب .

9 ـ تدعي التوراة أن داود قتل أبناء عمون بالمناشير والفؤوس وأحرقهم بالأفران .

تعتبر شخصية داود مفتاحاً لعدد من الدراسات والبحوث لما لها من علاقة بالقضايا التاريخية والعقيدية ولما تفتح من آفاق بحثية حول علاقة بني إسرائيل به وطبيعة ملكه ومملكته .

فاليهود المعاصرون يعتبرون أن داود أحد أهم الشخصيات النبوية في تاريخهم . فهو مؤسس أول مملكة إسرائيلية في تاريخهم بل يعتبرونه أول من استطاع توحيد القبائل الإسرائيلية في دولة واحدة ، ولهذه الأسباب وغيرها كان لا بد من التوقف طويلاً وبشكل دقيق أمام ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم عن داود .

فداود ينتسب إلى يسّى البيتلحمي وهو من أسرة ليست مشهورة في بني إسرائيل خاصة زمن شاؤل ـ طالوت ـ وإذا نظرنا إلى سفر راعوث وجدنا أن التوراة

تتحدث عن امرأة أرملة مات زوجها اسمها راعوث وهي من موآب وليست إسرائيلية، وباختصار يتزوجها رجل يسمى بوعز وهو من بيت لحم وهذا بوعز يأتيه ولد منها اسمه يسّى).

ويسّى هو والد داود حسب النص التوراتي، وعلى هذا فجدة داود التي هي راعوث موآبية وليست من بني إسرائيل.

وكان لداود إخوة كثيرون قالت التوراة إنهم سبعة، لكن والد داود وإخوته السبعة وجميعهم أكبر من داود لم يكن لهم شأن بين القبائل الإسرائيلية، ولو كان والد داود أو داود له أهمية مسبقة لدى بني إسرائيل لظهر تسلسل أهميته منذ والده مروراً بإخوته ولو لم يكن هناك اختيار رباني لداود ليكون نبياً وملكاً لما أصبح كذلك كونه من أسرة مغمورة في بني إسرائيل.

ويستوقفنا في هذا الشأن اسم داود نفسه، فالاسم ليس مألوفاً بين أسماء بني إسرائيل فنحن نرى أن أسماء إخوته كما وردت في التوراة هي أسماء أقرب إلى اللسان العبري فالأول اسمه ألبآب والثاني أبينا داب والثالث شمة بينما اسم داود لا يمت بصلة إلى هذا اللسان. والذين دوّنوا التوراة لم يستطيعوا إخفاء حقيقة اسمه وغاب عن أذهانهم أن هذا الاسم ليس اسماً عبرانياً مما يفتح الباب للتساؤل. إذاً من أين جاء الاسم؟ وهل هذا يعني أن لا صلة بين داود وبين القبائل العبرانية؟

لقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

فالأيد هو التأييد. وإن ذا الأيد في القرآن الكريم هي تفسير لاسم داود كما يرى بعض الباحثين[1]. ومن الواضح أنّ أقرب لغتين لاسم داود هما الآشورية والبابلية (دا، أود) إذن فالاسم ليس عبرانياً ولو نظرنا إلى أسماء بعض الأشخاص في عصره لتبين لنا ذلك. فنرى مثلاً صموئيل شاؤل، أفرايم، أبنير، يوناثان، أبشالوم، إمنون إلى آخر ما هناك من أسماء، حين نبحث عن اسم سليمان كذلك نرى أنه غريب أيضاً عن أسماء اللغة العبرية.

---

(1) عبد الرحمن غنيم. روان. سر الأسرار. صفحة 102 ـ دار الجليل دمشق.

إذا انتقلنا للبحث في نبوة داود وملكه. نرى أن القرآن يشير إلى نبوة داود قبل الملك وهذا منطقي إذ أن النبوة أسبق على الملك طالما أن غاية الله في بعث أنبيائه هداية البشر أولاً ثم الحكم لهم ثانياً والواقع أن الحديث عن نبوة داود يستجر الحديث عن عقيدته وماهيتها وشأن الكتاب ـ الزبور الذي أنزل عليه.

فهل كان داود على دين اليهودية وعقيدتهم؟

لنعد إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248].

فالحديث هنا عن طالوت الذي قاتل داود في صفوف جنوده وقتل جالوت.

فالآية توضح أن التابوت يحوي بقية من تعاليم آل موسى وآل هارون، ومعلوم أن موسى ألقى الألواح التي كتب عليها الشريعة أو كسّرها حسب قول التوراة وبقيت منها بقية من التشريع الإلهي لموسى، فإذا كان داود عليه السلام مكلفاً بإقامة دين التوحيد فإنه لا شك سيقيم تشريع موسى الداعي إلى التوحيد، وهذا يعني أن عقيدة داود هي عقيدة موسى وأن ما بقي من شريعة التوراة أخذه داود بعد شاؤل وصفاه من شوائب بني إسرائيل ومن تشويههم الشفهي له.

فالأنبياء جميعاً ولا سيما الذين ذكرهم الله عز وجل في القرآن الكريم ينتمون لعقيدة الإسلام فموسى كما أشرنا لم يخترع اليهودية أو يؤسسها بل تابع دين الإسلام واليهود هم من تخلوا عن موسى ثم قالوا بعد زمن إنهم تابوا ورجعوا إلى الحق. وما ينطبق على موسى ينطبق على داود. فإذا كان داود يحكم بشريعة موسى التي بقيت منها أشياء فإنه بذلك يحكم من خلال العقيدة الإسلامية بمفهومها الشامل.

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا

تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44].

فهل بعد هذا البيان الإلهي نستطيع أن نطلق على داود أنه يهودي أو من أنبياء اليهود إن جميع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأنبياء تشير بوضوح إلى أنهم أسلموا لله قلوبهم وعقولهم وحكموا أقواماً متنوعةً عقائدهم. والآية السابقة تشير إلى أن هؤلاء الأنبياء الذين أسلموا كانوا يحكمون لليهود في قضاياهم العقيدية التشريعية. ولولا أن الأنبياء أسلموا لله لما حكموا أو حكم غيرهم إلا بما يهوى هؤلاء اليهود.

ولعلنا ونحن نطالع الآية الكريمة السابقة والآيات التي تليها لعرفنا أن المقصود بهؤلاء الأنبياء هم داود وسليمان وزكريا ويحيى، والدليل على ذلك ما نراه في سورة المائدة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 44 ـ 46].

فالآيات واضحة في قول الله وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم، والمقصود على آثار هؤلاء الأنبياء الذي أسلموا وحكموا لليهود قبل عيسى، ومعلوم أن الأنبياء الذين أرسلهم الله قبل عيسى هم زكريا ويحيى وسليمان وداود، وأقاموا حكم الشريعة التوراتية كما نزلت على موسى عليه السلام لا كما أرادها بنو إسرائيل أو كما وصلتنا مصنوعة بأيديهم.

وقد أشارت التوراة إلى أن داود كان إمام المغنين وما كان يرنمه ويغنيه عبارة عن مزامير. وقد أشرنا إلى أن المزامير التي نسبوها لداود تصل بحدود الخمسين مزموراً بينما يشير القرآن الكريم إلى أن الله أنزل على داود زبوراً.

وإذا نظرنا جيداً في المزامير وجدنا أنها في أكثرها أدعية للرب وما جاء في هذه المزامير يدل على صلة قوية بين النبي داود عليه السلام وبين ربه. ولكننا لو دققنا النظر جيداً وجدنا أن بعض ما كان يقوله داود يخالف ما ورد في التوراة في الأسفار التي تحدثت عن داود.

فنرى مثلاً في المزمور الخامس: (رجلُ الدماء والغش يكرهه الرب أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك أسجد في هيكل قدسك بخوفك).

وجاء في سفر الملوك: (وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد فأمرّهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون).

وفي بعض المزامير نرى خطاب داود لربه يتغير حتى ليشعر المرء أن رجلين يتكلمان وليس رجلاً واحداً.

جاء في المزمور الرابع والأربعين: (استيقظ لماذا تتعافى يا رب، انتبه لا ترفض إلى الأبد لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا).

وباعتبار أن التدوين التوراتي تم في أيام السبي فقد جمعت نصوص كثيرة تحت عنوان مزامير حتى أن بعضها قيل على شاطىء الفرات باعتراف التوراة نفسها.

وقد ورد ذكر الزبور مرتين في القرآن الكريم مرة في سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾. ومرة أخرى في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [105].

وذكر المفسرون. أن الزبور الذي أنزل على داود هو مئة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام. بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على

الله عز وجل ومواعظ[1].

وهذا القول عام لأن المدقق بمزامير داود يجدها مائة وخمسين ولكنها لا تنسب جميعها إلى داود. فهناك مزامير لسليمان ومنها صلوات نسبوها للنبي موسى عليه السلام كالمزمور رقم 90 ومنها قصائد نسبوها لإيثان الازراحي كما في المزمور 89 وغير ذلك كثير مما نسب لقورح إمام المغنين، ومنها مزمور أوله (على أنهار بابل).

وقد نص القرآن الكريم على أن داود لعن بني إسرائيل لأنهم عصوا. يقول تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: 78].

ففيما يتعلق بالعصيان والاعتداء فإن أكثر بني إسرائيل عصوا أوامر داود التي استند فيها على التوراة الحقيقية واعتدوا على الناس والأنبياء والاعتداء شامل عام لم يُحدد بفئة معينة. وهذا يدل على أنهم كرروا الاعتداءات حتى أصبحت ملاصقة لطبيعتهم ولذلك لُعنوا على لسان داود وعلى لسان المسيح عليهما السلام.

وحين ترتبط نبوة داود بملكه يتسع المجال أكثر ليدرك المرء طبيعة ملك هذا النبي ومملكته.

لقد ورد ذكر داود في القرآن الكريم ست عشرة مرة وذكرنا ذلك سابقاً وإذا نظرنا في الآيات الكريمة وجدنا أنها تساعد في فهم تسلسل حياة داود كنبي وكملك.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: 251].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18].

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19].

---

(1) إعراب القرآن وبيانه. محمد علي طه الدرة، المجلد الثالث صفحة 188.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: 21ـ22].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: 26].

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

فقد ظهر داود فجأة أثناء صراع طالوت مع جالوت، وقتل داود الجبار جالوت ولم يشر القرآن الكريم كيف قتله. ولكن التوراة تشير إلى أنه أصبح محبوباً لدى شاؤل وزوجه ابنته ميكال ثم جرت عدة محاولات لقتله من قبل شاؤل وباءت جميعها بالفشل إلى أن حدثت إحدى المعارك بين شاؤل والفلسطينيين وقتل فيها هو وأبناؤه الثلاثة. ثم ارتحل داود إلى الخليل حيث بايعه أنصاره وعينوه ملكاً بينما أنصار شاؤل انقسموا لوحدهم وعينوا ابناً لشاؤل ملكاً عليهم، ثم ما لبث داود أن قاتلهم ومن ثم خضع له جميع أسباط إسرائيل وعينوه ملكاً عليهم فأصبح ملكه يضم بني يهودا وبني إسرائيل.

فمن حيث السياق العام لا خلاف بين القرآن الكريم والتوراة في أن داود تسلم الملك بعد شاؤل ـ طالوت ـ وقد علمه الله سبحانه مما يشاء من أمور الحكم والقضاء والقوة.

وتذكر التوراة أن داود قام بحروب كثيرة واتسع ملكه حتى وصل خليج العقبة ودانت له البلاد التي حولها فافتتح بلاد الفلسطينيين وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حرب شديدة وحارب الأقوام الذين على الفرات ونُصر عليهم.

ولكن التوراة نفسها تذكر أموراً تتناقض كلياً مع طبيعة النبوة التي كان عليها داود فقد ذكرت أن داود رأى امرأة تستحم فجلبها وزنا فيها فأنجب ولد حرام وبعث بزوجها الحثي أوريا ليقتل في الحرب وقتل الرجل فجلبها داود إلى مجموع

نسائه ثم ضاجعها فولدت له سليمان بعد أن مات الطفل الأول.

فهذا المنطق التوراتي لا يتوافق مطلقاً مع النبوة، فالأنبياء معصومون والعصمة إلهية فكيف بداود يرتكب فاحشتين هما الزنا والقتل بغير حق. وهذا الخبر لم يرد في القرآن الكريم لأنه تلفيق من خيال من كتبوا التوراة بعد داود بمئات السنين. وقد استخدم داود أخسّ الأساليب ليقتل أوريا الحثي حيث أوصى رئيس جنده بأن يبعث بأوريا في مقدمة الجيش ليكون في متناول الأعداء وتورد التوراة أن ناثان الذي جاء ليقرع داود بفعله كان نبياً. فكيف يصح أن يقرع ناثان داود وكيف يمكن أن يكون ناثان نبياً أرفع شأناً من داود والتوراة نفسها لا تعطي أي وزن لناثان إلا في هذه الحادثة؟

وتحاول التوراة أن تخفي دور الملائكة الذين جاؤوا ليحكموه في أمر النعاج. وقد أورد القرآن الكريم القصة بوضوح، فليس هناك وجود لنبي اسمه ناثان بل هناك وجود لملكين دخلا على داود بهيئة رجلين وقد فزع داود منهما. والسبب أنه لا يمكن أن يدخل قصره رجل ويجتاز الأبواب والحراس. وفزعه هو دهشته لكيفية دخول هذين الرجلين إلى مخدعه.

يقول البيضاوي: وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه عليه السلام ودّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان وما قيل إنه أرسل أوريا مراراً إلى الحرب وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مئة وستين. مئة حد القذف وستون زيادة لأن المقذوف نبي.

وبعيد من الحكمة أن يكون الحكيم فاسقاً قاتلاً من غير حق ولا برهان.

وداود كنبي معصوم لا يمكن أن يقع بمثل هذه المغريات وقد شهدت له التوراة نفسها بصدقه وخوفه من الله وطهارته.

ففي صموئيل الثاني في الإصحاح 22 يقول داود (يكافيني الرب حسب بري حسب طهارة يدي يرد علي لأني حفظت طرق الرب ولم أعصِ إلهي لأن جميع

أحكامه أمامي فرائضه لا أحيد عنها).

وفي الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول فقال سليمان (إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة).

وفي الإصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني قول الله لداود (إن يكن بنوك طرقهم يحفظون حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي) فهل يريد الله لأبناء داود الذين يقويهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة قتلة[1].

وإذ عدنا إلى الحديث عن ملك داود فإننا لا نرى في القرآن الكريم سوى أن الله سبحانه آتاه الملك دون أن نعرف أين ملكه وفي أي أرض كان وقد منّ الله عليه بالحكمة والقضاء وتسبيح الجبال والطير معه لكثرة ما كان يسبح الله. وقد وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]. فهو المؤيد من الله سبحانه وكان أوّابا لله متبتلاً.

لكننا إذا عدنا لبعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن سليمان وجدنا بعض ملامح هذه الأرض التي أقام داود مملكته عليها ثم ورثه ابنه سليمان فيها.

يقول تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ [الأنبياء: 81] فالأرض التي باركها الله تشمل القدس وما حوله وتصل حتى حدود مكة وقد أشرنا لذلك أثناء حديثنا عن إبراهيم عليه السلام.

ورغم ذلك لا يعني أن هذه الأرض كانت هي ملك داود ومن بعده سليمان. فقد تكون المملكة المشار إليها جزءاً من هذه الأرض، وعلى افتراض أن داود عليه السلام أقام ملكه في أرض فلسطين فإن ذلك يستدعي التوقف طويلاً حول ذلك.

سبق وأشرنا إلى قول التوراة أن داود حكم في حبرون ـ الخليل ـ سبع سنوات وستة أشهر وحكم في إسرائيل اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر بمعنى أنه حكم أربعين سنة.

---

(1) عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء ص 340 ـ 341.

لنرى معاً ماذا تقول التوراة:

(وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض فكلموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج. وأخذ داود حصن صهيون. وهي مدينة داود).

وكانت المدة التي ملك داود في حبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر. وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك في حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل.

وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهودا.

وفي سفر القضاة الإصحاح الأول تقول التوراة: (وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم).

ولم يطرد منسّى أهل بيت شان وقراها ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان بلعام وقراها ولا سكان مجدو وقراها.

وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازد زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون في وسطه ولم يطرد أشير سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحبلة وأفيق ورحوب.

ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض.

وجاء في الإصحاح الثالث ـ قضاة: فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين. واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم.

فبالنسبة للقدس بقيت في أيدي سكانها باعتراف التوراة نفسها. والملك داود لما أراد أن ينشئ قصره في القدس قام بشراء قطعة أرض على جبل الزيتون خارج أسوار المدينة من أصحابها اليبوسيين.

وليس هناك ما يشير إلى أي حدث تاريخي اضطر سكان القدس غير الموسويين بسبب مغادرة مدينتهم إذ لم يصبهم شيء من تيارات التشريد والتقتيل والسبي التي أصابت الموسويين والدليل على احتفاظ سكان البلاد الأصليين بأرضهم أنهم تمكنوا من إخضاع بني إسرائيل لحكمهم قبيل وخلال عهد القضاة[1].

لماذا اختار داود جبل الزيتون ليبني قصره ومعبده؟

لو نظرنا إلى التسرب الإسرائيلي إلى فلسطين لوجدنا أن أكثر التجمعات الإسرائيلية وُجدت في منطقة الخليل. وفي الشمال الشرقي حيث بقي سكان المدن الساحلية متواجدين في أراضيهم.

فكان يمكن لداود أن يبقى في الخليل أو أن يصنع مدينة تكون له عاصمة ملكه في الشمال لكنه ترك الخليل ولم يذهب إلى الشمال واختار جبل الزيتون المطل على القدس ليؤسس هناك عاصمة ملكه ولذلك أسباب كثيرة.

قلنا في صفحات سابقة إن داود لم يكن من عائلة قوية حتى ينافس غيره على الملك. وقد كان معه حسب ما قالت التوراة نفسها أربع مائة رجل ثم ستمائة وأخضع يهوذا لملكه. ثم حارب إسرائيل مدة زمنية طويلة حيث سحب الملك من ابن شاؤل وقُتل فدان له بنو إسرائيل. وفي المحصلة فإن يهوذا وإسرائيل كانوا على عداء سابق مع داود. وداود لن يأمن غدرهم وشرهم فاختار منطقة بعيدة عن هؤلاء وهؤلاء أي أنه اختار جوار القدس وفضل مجاورة اليبوسيين الكنعانيين على مجاورة يهودا وإسرائيل، وهذا يؤكد أن عقيدة داود لم تكن كعقيدة اليهود. فقد استطاع إخضاعهم لملكه وعقيدته وقد عاونه بذلك أناس لم يكونوا من بني إسرائيل كأوريا الحثي وبعض الأدوميين وبعض اليبوسيين ولم يكن على عداء مع اليبوسيين لا عقيدياً ولا استراتيجياً، وهذا ما يؤكده قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: 44]. فداود المسلم كان

(1) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ 294.

يحكم بقضائه للذين كانوا يهوداً وهو يدرك أن هؤلاء اليهود لن يحكمهم ملك أو نبي من أبناء عقيدتهم لأنه سيضل كما يضلون والتوراة أكبر شاهد على ذلك. لقد حكم بني إسرائيل في عهد القضاة عشرات منهم لكنهم فسدوا وعملوا الشر في عين الرب وكذلك لو نظرنا إلى العهد الذي جاء بعد سليمان لوجدنا أن ملوكهم أقاموا عقائد الوثنية وأحلوا الحرام. ولم يتمكن سوى داود وسليمان من حكمهم حسب العقيدة الصحيحة لأنهما كانا مسلمين على ملة إبراهيم وموسى ولم يكونا يهوديين. وعلى الرغم من ذلك وذاك فإن علم الآثار والمكتشفات يرى أنه لا توجد مخلفات كثيرة خارج القدس تعود إلى عهد داود لأنه في الحقيقة لم يشتهر بتشييد الأبنية ورأى أن داود كان مشغولاً بالدفاع عن عقيدة التوحيد والقضاء حسب الشريعة الإسلامية العامة لمشاكل هؤلاء اليهود. ولعل الآيات القرآنية بعدم إشارتها لجغرافية ملكه دليل واضح على أن الملك لدى داود كان ملكاً يستند إلى قوة العقيدة التوحيدية ونشرها وليس إلى قوة التشييد والبناء الحضاري.

ولعل علماء الآثار الذين لم يكتشفوا آثاراً تدل على عصر داود لا يدركون أن مُلك الأنبياء ليس شرط إقامة البنيان والحضارة المادية بقدر ما هو نشر دين الوحدانية ومحاربة المعتدين والفاسقين والذين ينقلبون بين يوم وليلة من عقيدة لعقيدة.

وفي حزيران من عام 1993 طرد البروفسور توماس طومسن أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت في ميلواكي من منصبه لأنه أوضح في كتابه الأخير (التاريخ القديم للإسرائيليين) أن مجموع التاريخ الغربي لإسرائيل وللإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال. ويرى البروفسور أنه لم يتم العثور على أي أثر لقيام مملكة إسرائيل في القرن العاشر ق.م أو على وجود مستوطنات سكنية في منطقتي القدس والضفة الغربية التي يصر الإسرائيليون على تسميتها بـ يهودا والسامرة. والقدس نفسها لم تكن حتى القرن السابع ق.م سوى مقاطعة إقليمية ولذلك من المستبعد جداً أن يكون هناك أي قوم في منطقة القدس قبل القرن الخامس ق.م ولا وجود لأي صلة (إثنية) في منطقة القدس القديمة وإسرائيل في العصور الحجرية والأقوام التي أعادت بناء القدس في سنة 450ق.م ذلك أن المنطقة

بكاملها كانت مسرحاً للصراع بين الفرس والعراقيين القدماء[1].

وقد اعترف جوناثان توب الذي يعد من أكبر علماء الآثار في تاريخ المنطقة العربية القديم في المتحف البريطاني (بأن طومسُن دقيق جداً في بحثه العلمي الكبير وشجاع في التعبير عما كان كثير منا يفكر فيه حدساً منذ زمن طويل ولكن فضلوا كتمانه).

ونستطيع أن نستخلص من آيات القرآن الكريم أن الأكثر عداوة لداود هم اليهود أنفسهم فداود المسلم المؤمن بربه الذي سار على ملة إبراهيم عليه السلام كان عدواً لليهود بسبب استقامته وقمعه لكفرهم وظلمهم.

يقول تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: 82].

فاليهود والذين أشركوا سواسية في العداء للمؤمنين أيا كان زمنهم وأيا كان مكانهم لقد لعنهم داود بسبب ما كانوا يأتون من منكر وقد قال تعالى في ذلك.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78-79].

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [70: المائدة].

وعلينا أن نلاحظ هنا أن التسميات التي سمى بها الله سبحانه بني إسرائيل تختلف باختلاف الأزمنة. فبنو إسرائيل واليهود، وأهل الكتاب، تسميات أطلقت في القرآن الكريم حسب التسلسل الزمني التاريخي وحسب الظرف الموضوعي والعقيدي.

ولو عدنا لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن نعم الله التي أنعمها على داود لوجدناها كثيرة، فمنها أن الله منّ على داود بالنبوة والملك والحكمة وجعل ابنه سليمان نبياً وملكاً. وألان له الحديد ليصنع الدروع وسخر له الطير والجبال تسبح معه.

---

(1) جريدة الحياة التاريخ 30/ 6/ 1993.

ويستوقفنا قول الله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: 10-11].

وقوله تعالى في الأنبياء: 80: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾

وهاتان الآيتان تدلنا على عصر عاش فيه داود عصر عرف الحديد ودخل مجال التصنيع ومن الصناعات الحديدية صنع الدروع والزرد.

ثم إن آيتين أخريين تفتح أمامنا البحث عن عصر لا يخص اليهود بل يخص داود ومن آمن معه يقول تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: 26].

إن التوراة التي تتحدث عن بناء داود هيكلاً للرب تكذب وتفتري، فليس هناك ما يدل على وجود هياكل، والآية الكريمة التي تشير إلى المحراب تكشف لنا عن أن داود المسلم كان يعرف المحراب الذي جعله للعبادة، وهذا المحراب كان معروفاً لدى الكنعانيين في فلسطين (إن ذلك مؤشر قوي على انعدام علاقة داود باليهود الذين كانوا يعيبون على الفلسطينيين هذا النمط من المحاريب المقامة على المرتفعات)[1].

وحين يحكم داود بالعدل بين المتنازعين من الرعاة والمزارعين فإن ذلك يعني أن عصر داود عصر قضاء وقانون. عصر يحتاج للقضاء وللقانون، وهذا إن دل فإنه يدل على أن التجمع اليهودي وغيره في ذاك العصر قد كثر فيه الظلم والاعتداء حتى بلغ أشده وإلا لما منح داود الحكمة والقضاء ودعّم بالتأييد الإلهي حتى يستطيع أن يحل المشاكل الاجتماعية التي انتشرت في بني إسرائيل.

لقد خص الله سبحانه كل نبي بخاصية تختلف عن خاصية الأنبياء الآخرين. فعصر موسى الذي كان السحر فيه سائداً على ما عداه من المعارف احتاج فيه موسى لمعجزة تصدت للسحر، وعصر عيسى عليه السلام عصر الطب والعلوم الكيميائية فمنحه الله قوة شفاء الأمراض المستعصية ولعل عصر داود عصر الفتن وقوة العدوان فاحتاج هذا العصر لقوة القانون والقضاء حتى يستطيع داود مجابهة الظلم والاعتداء

(1) عبد الرحيم غنيم روان سر الأسرار ص186.

بشتى أشكاله، ولعله من قبيل المنطق أن نقول إن مجتمعاً يعيش بسلام وأمن وعدل لا يحتاج لكثير من القوانين أو للقضاة، وهذا يعيد إلى الأذهان أن خشونة بني إسرائيل ومكرهم واعتداءاتهم على بعضهم من جهة وعلى غيرهم من الناس بلغ حداً لا يطاق مما يستدعي وجود القوة النبوية الملكية التي تتمتع بفهم القانون وفهم الحكم بين الناس بالعدل والحق. ولولا كون داود نبياً وملكاً عادلاً لكان كأي من بني البشر أو كأي من بني إسرائيل لكن الله الذي اصطفاه نبياً مسلماً يحكم بالحق والعدل اختاره ليكون اليد القوية والعقل الناضج المليء بالحكمة حتى يحكم هؤلاء اليهود ويُخضعهم بالقوة لسلطانه وقضائه.

وتقول التوراة إن داود حكم أربعين عاماً ولم يحدد القرآن الكريم مدة حكمه إلا أنه أشار إلى قوته وتثبيته من قبل رب العالمين.

ماذا يقول الباحثون والآثاريون عن مملكة داود:

مرة أخرى نرى أن الباحثين والآثاريين يختلفون في تصوراتهم وأبحاثهم حول مملكة داود ومدى اتساعها وقوتها وضعفها. فبعضهم ذهب إلى نفي وجود مثل هذه المملكة وارتأى أن ملك داود لم يكن سوى على ولاية صغيرة تارة تخضع للشرق وتارة لمصر وبعضهم الآخر ارتأى حسب رأي التوراة أن داود أقام ملكاً واتسعت بقعة أرضه حتى استطاع احتلال دمشق ووصلت مملكته نهر الفرات.

وبعضهم الثالث رأى رأياً آخر حيث أقر بوجود مملكة لداود ولكنها لم تتجاوز أرض فلسطين أو قسماً منها حيث بقي الساحل بيد الفلسطينيين واختلطت شعوب الكنعانيين باليهود في الداخل حيث شكلوا مملكة بقيادة داود.

يقول المؤرخ المشهور ويلز في كتابه (معالم تاريخ الإنسانية) ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أرض الميعاد وقعت يوماً بيد العبرانيين اليهود ويلوح أن داود وضع نفسه في حماية حيرام ملك صور فثبتت هذه الحماية الفينيقية ملكه[1].

---

(1) معالم تاريخ الإنسانية الترجمة العربية، الكتاب الرابع صفحة 279.

ويقول الدكتور أحمد سوسة : (وهنا تستوقفنا نقطة أساسية لا بد من إثارتها وشرحها . وهي هل كانت هناك في زمن داود وسليمان دولة إسرائيلية بمعنى يهودية حقاً ، وهذا يسوقنا إلى أن نسأل ما هي اللغة والثقافة التي كانت سائدة في فلسطين في عصر داود وسليمان في القرن العاشر ق . م . هل كانت لغة داود وسليمان عبرية بمعنى يهودية إذ ذاك؟ إن هذه المسألة محفوفة بالغموض الكثيف لعدم توافر أدلة محسوسة توضح لنا حقيقة الأمر . إذ لم يعثر حتى الآن على وثائق من هذا العصر على ما وصل إليه علمنا . إلا أن القرائن كلها تدل بوضوح تام على أن هذه الدويلة التي تشكلت في زمن داود وسليمان لم تكن قد توفرت فيها المقومات القومية والثقافية ، إذ لم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها بل كانت قائمة على تراث كنعاني بحت كما تؤيد لنا ذلك الحقائق التاريخية)[1] .

داود وأبناؤه:

تتحدث التوراة عن عدد من أبناء داود فتورد اسم أدونيا ابن حجيث ، وحجيث هي أمه وزوجة من زوجات داود وهو أخ لأبشالوم ثم تورد اسم سليمان ، وأثناء عرض الكلام عن أبنائه في الإصحاح الأول من الملوك الأول تورد اسم ناثان النبي . فتقول (هوذا ناثان النبي فدخل إلى أمام الملك وسجد للملك على وجهه إلى الأرض) .

وكانت التوراة قد أوردت تمرد أبشالوم على أبيه في صموئيل الثاني حتى كاد أن ينتزع من أبيه الملك . وأثناء تمرد أبشالوم تقول التوراة (وأما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون كان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشي حافياً) . ويضيّق أبشالوم الخناق على أبيه داود ويلاحقه من مكان لمكان ليقتله ، ويهرب داود ولا يستقر به قرار حتى دخل الأردن مختبئاً من بطش ابنه . وبعد مقتل أبشالوم يقوم شبع بن بكري وهو من سبط بنيامين بثورة ضد داود وتقول التوراة في ذلك (فصعد كل رجال إسرائيل من وراء داود إلى وراء شبع بن بكري) وأما رجال يهودا فلازموا ملكهم من الأردن إلى أورشاليم .

---

(1) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ صفحة 299 .

ثم يصبح سليمان ملكاً مكان أبيه ويموت داود بعد أن يوصي ابنه سليمان بوصايا كثيرة منها وصيته بقتل بعض الأعداء الذين عاهد داود نفسه بعدم قتلهم بيده ومنها وصايا بعدم البعد عن طريق الله...الخ.

أما في القرآن الكريم فترى أن الآيات الكريمة تذكر سليمان وحده كابن لداود ولا يرد أي ذكر لأولاد داود الآخرين وقد ورد ذكر سليمان في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، تماماً كذكر داود في ستة عشر موضعاً.

وإذا تتبعنا سيرة النبي سليمان من خلال ترتيب آيات القرآن الكريم نجد ما يلي:

يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30].

ويقول تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾ [الأنبياء: 78 ـ 79].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 15-16].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 23].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: 34-37].

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: 12 ـ 13].

وقال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 18 ـ 19].

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

وقد ذكر القرآن الكريم قصة سليمان وطائر الهدهد ومملكة سبأ في سورة النمل من الآية 120 حتى الآية 44 وسنورد هذه الآيات عند مناقشة هذه القصة وماذا تقول التوراة فيها.

ماذا تقول التوراة في سليمان:

مرّ معنا سابقاً أن بني إسرائيل لفقوا قصة سطو داود على امرأة أوريا الحثي وهذه القصة التوراتية تقول إن (بتشبع) قد أنجبت ولداً سفاحاً من داود ثم مات وبعد أن قُتل زوجها أوريا الحثي ضمها داود إلى زوجاته فأنجبت له سليمان، وكان لداود نساء أخريات أنجبن أولاداً ومنهم أبشالوم وأمنون وأدونيا، وفتاة هي شقيقة أبشالوم الذي اغتصبها إمنون أخوها من أبيها وتدعى ثامار، ويتضح من خلال سياق التوراة أن إمنون وأبشالوم وأدونيا أكبر سناً من سليمان والآن لننظر إلى نساء داود اللواتي أنجبن هؤلاء الأولاد والبنت.

فأول زوجة يرد اسمها هي ميكال ابنة شاؤل.

تقول التوراة في الإصحاح الثالث من صموئيل 2: (وولد لداود بنون في حبرون وكان بكره إمنون من أخينوعم اليزرعيلية، وثانية كيلا ابن أبيجايل امرأة نابال الكرملي والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماي ملك جشور والرابع أدونيا ابن حجيث والخامس شفطيّا ابن أبيطال والسادس يثرعام من عجلة امرأة داود، هؤلاء ولدوا لداود في حبرون)، وفي السفر نفسه الإصحاح الخامس: (وأخذ داود أيضاً سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضاً لداود بنون وبنات وهذه أسماء الذين ولدوا له في أورشليم: شموع وشوباب وناثان وسليمان ويجار وأليشوع ونافج ويافيع وأليشمع وأليداع وأليغلط).

إذاً يكون عدد أبناء داود وبناته سبعة عشر فرداً.

ويقتل إمنون على يد أخيه أبشالوم لأنه اغتصب أخته ثم يقتل أبشالوم ويلحقه أدونيا أما بقية أولاده عدا سليمان فلا يتكرر الحديث عنهم في التوراة.

إن هذا التفصيل عن أولاد داود لم يرد في القرآن الكريم ولم يرد أيضاً شيء عن نسائه ومن خلال حديث التوراة نجد أن نساءه ينتسبن إلى أقوام كثيرة، فمنهن الإسرائيلية ومنهنّ الحثية، والجثورية.

وكانت أم سليمان هي بتشبع الحثية، ولم تكن من بني إسرائيل وهذا ما صرحت به التوراة نفسها، عندما ذكرت قصة أوريا الحثي وزوجته بتشبع.

فإذا قارنا سليمان بإخوته وجدنا الملاحظات التالية وهي جديرة بالانتباه والمتابعة:

1 ـ سليمان من أصغر إخوته حيث يرد قبله إخوته الذين ولدوا في حبرون وهم ستة إخوة كل واحد من أم غير أم الآخر. وقد وُلد قبله في أورشليم حسب زعم التوراة ثلاثة أبناء لم ترد أسماء أمهاتهم.

إذاً فهناك تسعة أبناء سبقوا سليمان فلماذا اختار داود سليمان ليرث ملكه ولم يختر غيره. لمَ لمْ يختر داود ابن المرأة اليزرعيلية أو ابنه ملك جشور أو ابنه نابال الكرملي وهو أيضاً من بني إسرائيل، لماذا اختار صغيراً خلفاً له؟ ثم لماذا

اختار ابن امرأة حثية وليست من بني إسرائيل؟ وماذا يترتب على هذا الكلام؟

2 ـ هناك اختيار رباني يتدخل لاختيار سليمان وريثاً لأبيه ونبياً يأخذ بتعاليم الكتاب الحقيقية التي ورثها عن أبيه شفاها وقد أوردت التوراة أن سليمان امتاز بالحكمة ولا يصفونه بالنبي غير أن ذلك لا يمتاز به أي من إخوته.

3 ـ إن عدم اختيار داود لغير سليمان وريثاً لملكه يؤشر إلى أن داود لم يكن يثق بمن كانت أمه إسرائيلية أو وثنية لتجربته مع بني إسرائيل المتقلبين بين لحظة وأخرى من عقيدة لأخرى. وإذا نظرنا إلى تصرف بتشبع أم سليمان وكلامها حتى ذاك المصرح به في التوراة نرى أنها موحّدة مؤمنة بالرب الذي يؤمن به داود وهي غير يهودية ولا وثنية.

وتقول التوراة نفسها عن سليمان في الإصحاح الثالث من الملوك الأول (وأحب سليمانُ الربَّ سائراً في فرائض داود أبيه).

وتقول على لسان الرب: (هو ذا قد فعلت حسب كلامك هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك)، وتتحدث التوراة بشكل مفصل عن حكمة داود وانتشرت حكمته بين الناس حتى سمع بها القاصي والداني. وهذا ما يتطابق مع قول القرآن الكريم عن حكمته وعدله.

وتكرس التوراة الحديث عن بناء سليمان للهيكل منذ الإصحاح الخامس في الملوك الأول وحتى نهاية الإصحاح السابع. وفي الإصحاح الثامن يدخل سليمان تابوت الرب إلى الهيكل. فتقول (فأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس).

وتقول التوراة: (وبعد نهاية عشرين سنة بعد ما بنى سليمان البيتين بيت الرب وبيت الملك وكان حيرام ملك صور قد ساعد سليمان بخشب أرز وخشب سرو وذهب حسب كل مسرته أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرضِ الجليل).

وتقول التوراة في الإصحاح الحادي عشر من الملوك الأول (وأحب الملك

سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات) فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتروت إلآهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وحينئذ بنى سليمان مرتفعه لكموش رجس المؤآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع إلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب).

يتفق القرآن والتوراة على أن سليمان أوتي حكمة منذ صغره وأوتي الملك لكن التوراة لا تصفه بالنبي بينما القرآن الكريم يصرح بأن سليمان نبي مرسل وتختلف رواية التوراة عما جاء في القرآن الكريم عن سليمان اختلافاً جذرياً في أكثر جوانب حياته.

فالآية القرآنية تصرح بأن الله وهب لداود سليمان. ونحن نعلم أن داود حسب النص التوراتي كان أبا لسبعة عشر ولداً ولم يشر القرآن إليهم بل أشار إلى سليمان على أنه هبة من الله لداود لأنه نبي أوّاب. فكما وهب الله لإبراهيم إسحق وهب لداود سليمان. إذاً فسليمان يقع ضمن دائرة الاختيار الإلهي لأنه سيكون نبياً حسب علم الله المسبق.

وقد لازم سليمان أباه داود ليتعلم منه القضاء والحكم فأوردت الآية قصة غنم القوم التي نفشت في الزرع ففهّم الله سليمان حلّ المشكلة التي طرأت بين أصحاب الزرع وأصحاب الغنم.

ووهب الله لداود وسليمان علماً خاصاً وشكرا الله على نعمته عليهم.

وقد ورث سليمان داود وعلمه الله منطق الطير واعتبر سليمان ذلك فضلاً من الله.

وقد وردت في القرآن الكريم أحداث تخص النبي سليمان كالصافنات الجياد، ومملكة سبأ وتسخير الجن.

ولا بد لنا أن نتوقف هنا أمام عدة أسئلة.

لماذا ذكر القرآن الكريم المحاريب ولم يذكر الهيكل؟

لماذا تذكر التوراة أن سليمان تزوج ألف امرأة ولم يرد ذلك في القرآن الكريم؟

لماذا تذكر التوراة أن سليمان بنى لنسائه معابد وثنية وأصناماً لعبادتهم ولم يذكر القرآن ذلك؟

إذا دققنا قليلاً في آيات القرآن الكريم وجدنا أن الأنبياء جميعاً ينطلقون من منطلق واحد وهو منطلق التوحيد. ولا شك أن العبادة لدى الأنبياء جميعاً هي عبادة واحدة في روحها وعندما يذكر القرآن الكريم المحاريب التي بنيت لسليمان فإن ذلك يدل على أن صلاة هذا النبي كانت تتم في هذه المحاريب. والمحراب بشكل عام معروف في الإسلام فهو التجويف الموجود في جدار المسجد المتجه نحو الكعبة. وقد ورد في العبادات الكنعانية أن المحراب كان معروفاً لدى الشعب الكنعاني. وليس بعيداً أن يكون النبي سليمان قد وجد في هذه المحاريب وسيلة حسنة للتعبد أو الصلاة. ولا شك أن ذكر القرآن الكريم لكلمة محاريب بصيغة الجمع يدل على أن هناك عدة معابد بناها النبي سليمان ووضع فيها المحاريب. بمعنى أنه بنى في كل معبد محراباً.

أما ما قالته التوراة عن بناء سليمان لما يسمى الهيكل فهناك وقفة تاريخية جغرافية آثارية ودينية.

مر معنا كيف أن التوراة وصفت الهيكل وصفاً ووضعت أرقاماً دقيقة لأطواله وارتفاعه وعرضه والساحات المحيطة به.

ترى التوراة أن هيكل سليمان بني على بقعة سهلية في القدس، وعندما نقارن المساحة التي ذكرتها والتي بني عليها الهيكل مع المساحة الجغرافية الحقيقية في القدس وجدنا كما وجد كافة علماء الآثار أنه لا توجد أية بقعة سهلية في جبال القدس تسع لهذا الهيكل أي أن المساحة المزعومة في التوراة لا تتطابق البتة مع المساحة الجغرافية لطبيعة القدس الجغرافية وإذا أردنا أن نفصل فهذا هو الإصحاح

السادس من سفر الملوك أمامنا. وإذا جمعنا عدد الأذرع التي بني عليها الهيكل وسرادقاته وجدنا أنها تبلغ مساحة أكبر بكثير مما هو موجود في الواقع عدا مرابط الخيول التي بنيت خارج هذا الهيكل.

ترى التوراة أن الهيكل بني من الحجارة وخشب الأرز المستورد وأن الذين شاركوا في بنائه بلغوا 30 ألف مسخّر من العبيد.

ماذا يقول النص التوراتي؟ (والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقتلعة ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد) إصحاح 6. الملوك الأول، فالعبيد المسخرون وهم ثلاثون ألف رجل اقتلعوا الحجارة اللازمة وهي صحيحة. ولم يستخدموا في قلعها أداة للنحت أو معول أو أي أداة من حديد.

ما الذي يعنيه النص وماذا يفيدنا إذا ما وضعناه في سياق علم الآثار؟

الواقع يقول لنا إن الحجارة كانت موجودة مسبقاً ولم تأخذها الأيدي من الصخور. ثم هي صحيحة أو منحوتة جاهزة للبناء إذ لم يستعمل لأجلها أي أداة حديدية.

وعلم الآثار يقول بكل بساطة إن مثل هذه الحجارة لا تكون بهذا الشكل إلا إذا كانت حجارة بيوت أو معابد مهدمة حديثاً. وهي بهذه الكثافة تدل على أنها كانت مشيّدة في أبنية ضخمة سبق وجودها وجود النبي سليمان وأتباعه والطبقات الصخرية تدل بشكل قاطع على أن الحجارة التي تزعم التوراة أن الهيكل بني بها ليست حجارة بعيدة العهد عن عصر سليمان ومن المسلمات الآثارية أن الأقوام التي تلي أقواماً أخرى رحلت أو غيرت مكان سكنها تستخدم حجارة بيوتها في بناء بيوت جديدة.

والتوراة نفسها تورد أن أهل يبوس ظلوا في مساكنهم وعايشهم بنو إسرائيل وتصاهروا معهم فمن أين جاء العبيد بالحجارة التي بني بها هيكل سليمان؟ أهل القدس ظلوا في مساكنهم ولم تهدم البيوت. والعبيد لم يقتلعوا حجارة جديدة من الصخور ونحتوها. فهل هناك معجزة إلهية أسقطت مئات الآلاف من الحجارة المنحوتة الجاهزة للبناء؟ أم أن هيكل سليمان بني من خشب ولم تدخل في بنائه

الحجارة؟ أم أن الهيكل قصة تخيلها كتبة التوراة وهي ليست حقيقة واقعة؟ وإذا كان الهيكل المفترض قد بني فعلاً حسب زعم التوراة فما علاقة المقدس به. لقد كان من الممكن أن يختار سليمان أي مكان آخر ليبني هيكله عليه طالما أن اختيار المكان هنا هو اختيار إنساني وليس إلهياً. وقد نفترض أن سليمان قد بنى هيكلاً له ولكن ليس في مدينة القدس حتماً لأن كافة المعطيات الأثرية والتاريخية تتناقض تماماً مع ما قالته التوراة عن الهيكل.

إن المقدس الإلهي يخضع للثبات في المكان بينما المقدس البشري قابل للتهدم والإفناء. ولعل أدبيات التوراة وأصحاب التوراة يفتقدون للثبات في المكان. ودلائل التاريخ كثيرة وإذا كانوا الآن يحاولون التشبث بأسنانهم وأظافرهم باستعمار فلسطين فإن ذلك يدل أن الضياع اليهودي عبر آلاف السنين أصبح عقدة نفسية. ردة فعلها التشبث بأي مكان ولو أدى ذلك لاختراق القوانين البشرية كلها ولو أدى أيضاً إلى تدمير العالم تدميراً نهائياً.

إن ما أوردناه من نفي لوجود ما يسمى هيكل سليمان يعني أن سليمان لم يكن يتعبد بما يسمى هيكلاً إنما كان له معابد هي أشبه بالمساجد طالما أنه كان يقيم محاريب. وهذه المحاريب هي أجدر أن تكون أمكنة للتعبد ولاسيما الصلاة.

أما بالنسبة لقول التوراة إن سليمان تزوج نساء كثيرات وبنى لكل منهن معبداً وثنياً فليس ذلك إلا من قبيل تشويه النبي سليمان، وطالما أن التوراة نفسها لا تصفه بالنبي إنما بالملك فهي تجيز لنفسها أن تجعله يسلك سلوك الملوك وليس سلوك الأنبياء، فليس من طبع الأنبياء أن يؤمنوا بالله وحده وهو الذي اصطفاهم لنفسه ليكونوا أنبياءه أن ينحرفوا عن عقيدة التوحيد ويتبعون أهواءهم فيفسحون المجال لعبادة الأوثان في بلادهم. ولا سيما أنهم بعثوا أيضاً لمحاربة الإشراك بالله.

إن التوراتيين لا يعترفون بنبوة سليمان ويشوهون شخصيته تشويهاً مقيتاً. وهذا يدل كما أسلفنا على عدم علاقتهم عقيدياً بسليمان أو داود أو موسى أو حتى بقية الأنبياء.

وتورد التوراة أن سليمان قد تزوج ابنة فرعون مصر وأن هذا الفرعون

هاجم إحدى مدن الساحل الفلسطينية واحتلها وأهداها لسليمان مهراً لابنته، وهذا الحديث كله لم يأت القرآن الكريم على ذكره ويبدو أن هذه القصة التي أوردتها التوراة قصة متخيلة ليس لها أساس من الصحة.

والأدلة على ذلك كثيرة.

أولاً: لم يكن سليمان ذا مُلك يضاهي مُلك الفراعنة المصريين حتى يصاهروه، وإذا كان ولا بد فقد يكون حُكام مصر قد أهدوا لسليمان زوجة من الخاصة مكافأة له على ما أبداه من حماية حدود مصر الشمالية أمام أطماع البابليين أو الآشوريين، وهذا افتراض قد يصح وقد لا يصح.

ثانياً: المدة الزمنية بين موت موسى وظهور داود وسليمان ليست طويلة والمصريون كانوا قد غضبوا على بني إسرائيل أثناء خروج بني إسرائيل من مصر فما الذي غير الموقف الفرعوني تجاه أتباع التوراتية حتى وصل بهم الأمر لمصاهرة سليمان؟

فالتوراة لا تعطي أي سبب لذلك، وفجأة نرى سليمان يتزوج بنت فرعون مصر دون أي تعقيب على العلاقة بين سليمان وبين الفراعنة، ودون إيضاح لعلاقة ما حدثت بينهما كتمهيد لهذه المصاهرة.

ثالثاً: إذا كان سليمان قد تزوج ابنة فرعون فما هي عقيدتها التي كانت عليها، فمن المعروف أن الفراعنة كانوا وثنيين والآلهة عندهم متعددة، ولنفترض أن سليمان قد تزوج ابنة فرعون فهل أصبحت عقيدتها كعقيدة سليمان. فالتوراة لا تأتي على أي ذكر للمسألة الدينية في هذه القصة، أما نحن فنرى أن النبي سليمان لن يكون نبياً في الأساس إذا رضي بالزواج من مئات النساء الوثنيات ومنهن ابنة فرعون، وبقين على عقائدهن.

لقد افترض كتبة التوراة أن سليمان تزوج ابنة فرعون ليبرهنوا على أن سليمان كان ملكاً قوياً تمتد مملكته على أراضٍ واسعة وتهدد جيرانها الأقوياء فلذلك صاهره الملوك طمعاً بتحالفه معهم أو خوفاً من جيوشه، والدراسات

التاريخية جميعها تشير إلى أن الفراعنة حتى في أيام ضعف مملكتهم لم يخضعوا لما يسمى مُلك سليمان أو داود، ولم تكن مملكة داود أو سليمان سوى مملكة صغيرة جداً. والقرآن الكريم عندما يتحدث عن مُلك سليمان لم يحدد هذا الملك بجغرافيا أرضية إنما بامتداد معنوي رافق النبوة.

وماذا عن قصة وادي النمل:

فقد أورد القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 18 ـ 19].

وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان: (قيل إنه بين بيت جبرين وعسقلان) وقال ابن بطوطة الرحالة الشهير (إن بظاهر عسقلان وادي النمل ويقولون إنه المذكور في الكتاب العزيز) وينتشر من الإسرائيليات قولهم إن سليمان كان يمتلك بساط الريح الذي يأمره فيطير به حيثما أراد. والحقيقة أنه لو كان لسليمان مثل هذا البساط لما قالت النملة إن سليمان وجنوده سيحطمونهم. وهذا يعني أن جيشه كان يمشي على الأرض ولا يطير على بساط الريح.

وقد تعرض القرآن الكريم كما تعرضت التوراة لقصة مملكة سبأ. لكن الاختلاف الكبير الذي يقع هو أن سليمان غضب لسماعه أن قوماً على رأسهم ملكة يعبدون غير الله. فكان قوله إما أن تؤمنوا بالله وحده وإما الحرب. ولم تورد التوراة قصة الصرح ولا قصة الهدهد ولا قصة إيمان ملكة سبأ، وركزت على قيام هذه الملكة بتقديم الهدايا من ذهب وفضة لسليمان تقول التوراة (وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة. لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان) ملوك أول إصحاح 10.

ولم تورد التوراة أن سليمان تزوج من ملكة سبأ وكذلك لم يرد مثل هذا في القرآن الكريم وما يقال وما يتناقله بعض المفسرين المسلمين عن زواج سليمان

بالملكة لا يستند إلى أساس تاريخي علمي ثابت.

ومن خلال السياق القرآني نرى أن سليمان بما أوتي من نبوة وحكمة جعل ملكة سبأ تؤمن بالله الواحد وتبتعد عن عبادة الشمس والأصنام. ولم يصل سليمان ولا جيشه إلى اليمن إنما الظاهر أن ملكة سبأ آمنت برب سليمان وعادت إلى بلادها دون أن تقع بين الطرفين حروب أو غزو أو احتلال.

يقول تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 23ـ24].

ويتابع قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 28ـ31].

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: 36ـ37].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: 44].

وهذا هو الفارق الجوهري بين التوراة والقرآن. فسليمان يغار على إسلامه ودينه التوحيدي فيدعو الملكة للإسلام والتوحيد فتسلم بينما التوراة لا تذكر سوى أن الملكة سمعت بملكه وحكمته فزارته وقدمت له الهدايا من الذهب والفضة، والفرق واضح بين الملكين، فهناك ملك دنيوي بكل ما يحمل من صفات الدنيوية وهناك ملك نبوي توحيدي غايته نشر دين التوحيد. وقد ورد في التوراة شيء من المدح لسليمان على لسان ملكة سبأ حيث تقول: ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سرّ بك وجعلك على كرسي إسرائيل) الملوك الأول 9 ـ 10.

ما بعد سليمان:

بموت سليمان عليه السلام انتهت مرحلة مهمة في ما كتبته التوراة وإذا راجعنا نصوص هذا الكتاب وجدنا أن الأنبياء قد اختفوا من حياة بني إسرائيل فترة زمنية طويلة فبعد سليمان بدأ التفكك يدب في أوصال بني إسرائيل وانقسمت المملكة إلى مملكتين واحدة في منطقة القدس والأخرى في السامرة، وراحت المملكتان تتحاربان وتضعفان حتى جاء السبي البابلي، وهذا حسب ما جاء في التوراة.

يموت النبي سليمان في نهاية الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول، حيث يرد في آخر هذا الإصحاح أن سليمان طلب قتل يربعام الذي ثار ضد حكم سليمان وليقيم مملكة خاصة به وحسب قول التوراة أن يربعام افرايمي من صردة وكان عبداً لسليمان واسم أمه صروعة وهي امرأة أرملة.

وتورد التوراة أن رحبعام ابن سليمان ذهب إلى شكيم لينصبه بنو إسرائيل ملكاً عليهم ثم تورد أخباراً عن انشقاق المملكة إلى اثنتين إلى أن يصل حديث التوراة إلى آخآب ابن عمري الذي ملك على إسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة وتقول التوراة إنه تزوج من إيزابيل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين وعبد البعل وسجد له.

وتورد التوراة أن إيليا التشبي من مستوطني جلعاد دعا آخاب إلى العودة للتوحيد وعبادة الله إلا أن آخاب رفض التوحيد وتورد التوراة في الإصحاح الثامن عشر من الملوك الأول أن إيليا تحدى آخاب وانتصر على كهنة البعل وقتلهم ثم لوحق فهرب من وجه آخاب. وتورد التوراة أنه هرب إلى بئر السبع ومن هناك إلى جبل الله حوريب.

وتتفق التوراة مع القرآن الكريم في الخطوط العامة لهذه القصة وهذا النبي، فإيليا هو إلياس حسب كافة المفسرين وقد ورد ذكر دعوته للتوحيد ونبذ عبادة البعل الذي اتخذه آخاب بن عمري إلهاً من دون الله.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات: 123 ـ 128].

وملخص قصة الصراع بين النبي إلياس وآخاب بن عمري أن إيزابيل زوجة الأخير جمعت كهنة البعل في جبل الكرمل ليتحدّوا النبي إلياس. واستطاع بعون ربه أن يغلبهم فحملت إيزابيل على النبي ودبرت له مقتلاً فهرب إلى بعلبك وتوارى عن أنظار أعدائه حتى تغير الملك أو قُتل فعاد إلى دعوته للتوحيد.

وقد أوردت التوراة نصوصاً كثيرة تتحدث عن عبادة اليهود للبعل، وبعل كان إلهاً رئيسياً لدى الفينيقيين والكنعانيين بعد أن تقلبت عقائدهم.

ومنذ النبي إلياس لم يأت القرآن الكريم على ذكر أي نبي مرسل مرتبط ببني إسرائيل وما ذكرته التوراة عن بعض الأنبياء ورجال الله كما تطلق عليهم لم يكونوا أنبياء مرسلين كبقية الأنبياء المعرّفين في القرآن الكريم، وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير إلى ما فعل الله سبحانه ببني إسرائيل بعد أن انحازوا كلياً عن ديانة التوحيد.

أما من حيث الزمن الفارق بين إلياس وبين الأحداث التي جرت لبني إسرائيل من سبي وتشريد فإن التوراة تورد أحاديث كثيرة عن ذلك. وتتحدث عن بعض الأنبياء الذين لم يصرح القرآن بالحديث عنهم.

وهناك بعض التقاطعات في الاتفاق بين التوراة والقرآن الكريم كالحديث عن عازر جامع التوراة ومدوّنها. ونقول بعض التقاطعات لأن اختلافات كثيرة تقع بين النص التوراتي والقرآن الكريم.

ففي التوراة سفر باسم عزرا وهو من عشر إصحاحات وأحداث هذا السفر تقع زمن احتلال الفرس لبلاد الرافدين على يد كورش.

وتقول التوراة إنه في زمن مُلك أرتحشتا لفارس ظهر عزرا الذي ينسبونه إلى هارون وتقول عنه إنه كان كاتباً ماهراً في شريعة موسى التي أعطاها الرب إلهُ إسرائيل.

أما القرآن الكريم فلم يصرح باسم العزير في قصة موته مئة عام ثم بعثه لكن الرواة المسلمين أجمعوا على أن الآيات الكريمة التي تتحدث عن الرجل الذي أماته الله مئة عام هو العزير. وقد صرح القرآن الكريم باسم العزير في سورة التوبة وفي

سياق آخر حين قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 30].

ولاختلاف أحداث القصص المرتبطة بعزرا بين التوراة والقرآن الكريم ولعدم تصريح القرآن باسمه آثرنا عدم الخوض في مقارنات متصوَّرة قد تكون خاطئة في أكثر تقويماتها.

أما عن الفترة الزمنية التي فصلت بين ميلاد المسيح عليه السلام وبين النبي سليمان فقد تحدثت عنها التوراة بشكل مفصل لا سيما قصة السبي والتشريد والعودة ثم تدمير الهيكل مرة ثانية وتتحدث التوراة في سفر زكريا وهو السفر ما قبل الأخير في التوراة عن حكم داريوس ويقدم زكريا في هذا السفر رؤيته وكلام الرب إليه كما تقول التوراة. فيبشر بخراب أورشاليم وسبي نسائها. (واجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتُنهب البيوت وتفضح النساء ويخرج نصف المدينة إلى السبي وبقية الشعب لا تقطع من المدينة). اصحاح 14 سفر زكريا.

وإذا نظرنا إلى الأسفار منذ سفر الملوك الثاني أي بعد موت سليمان وحتى سفر ملاخي وجدنا أن سمة حياة بني إسرائيل هي الاقتتال الداخلي ومن ثم التعرض لهجوم قوى كثيرة عليهم.

وإذا تفحصنا مضامين الأسفار التي سميت بأسماء أصحابها وهي أشعياء، وإرميا وحزقيال ودانيال وميخا وناحوم وزكريا وملاطي. نرى أن الأنبياء غاضبون على بني إسرائيل. فهي مليئة بالأدعية لأجل أن يُدمّر بنو إسرائيل. وتكتنفها صور جنسية وثنية صريحة خاصة في مراثي إرميا.

وما يمكن أن نقارنه هنا هي تلك الخطوط العامة التي يتعرض لها القرآن الكريم ويتحدث فيها عن إذلال بني إسرائيل وتسليط الأمم عليهم.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 167 ـ 168].

ويقـــول تعـــالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 4 ـ 7].

obeikandl.com